رواية "سيمورغ" لمحمد ديب: قراءة من منظور ثقافي

The novel of "Simorgh" by Mohamed Dib: Reading from a cultural perspective

تاريخ الاستلام :2023/02/20؛ **تاريخ القبول:** 2023/05/30

* نسيمة يعقوبي

المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة، الجزائر.

ملخص

إنّ الخطاب النقدي الأدبي هو العلم الذي تتجلّى فيه الأريحية الذاتية، حيث تغيب الذات المتكلّمة ويكون الحديث عن الآخر، وليس عن الذات، ومن ثمّ نما الخطاب النقدي وتطوّر وتنوّع وانفتح على الثقافات الأخرى منذ أرسطو الذّي جعلوه معلما أوّل لهم إلى ما هو جار اليوم في الثقافة النقدية العالمية.

فتحوّل الذات وضياعها ما هو في الحقيقة إلاّ ذريعة لاستثمار القيم لتحيا وتتطوّر وتنفتح على الآخر، وعلى مختلف الثقافات والحضارات ومحمد ديب في هذا النص يمارس ممارسة رمزية عن طريق المتخيل ويعيد بناء الواقع وتقديمه في شكل أنساق لغوية، إنّ نص سيمورغ أسطورة شرقية تدعو إلى القراءة والتطلع على ثقافات الآخر، وتكشف عن المعنى الإيديولوجي لصاحبها.

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي، سيمورغ، الأنا والآخر، النسق المضمر.

Abstract

The literary critical discourse is the science in which self-comfort is appeared, where the speaking self is absent and the conversation is about the other, not about the self, and then the critical discourse grew, developed, diversified and opened up to other cultures since Aristotle whom they made a first teacher to what is going on today in the global critical culture.

Therefore, the self and its loss is, in fact, nothing but a pretext to invest values in order to live, develop, and open up to others, and to different cultures and civilizations. In this text, Mohammed Dib performs a symbolic practice through the imagination and reconstructs reality and presents it in the form of linguistic patterns. The text of Simurgh is an oriental myth that calls for reading and looking at other cultures, and reveals the ideological meaning of its owner.

Keywords: cultural criticism, Simurgh, the ego and the other, the implicit pattern.

Résumé

Le discours critique littéraire est la science dans laquelle le confort de soi est apparu, où le moi parlant est absent et la conversation porte sur l'autre, pas sur soi, puis le discours critique a grandi, s'est développé, s'est diversifié et s'est ouvert à d'autres cultures. depuis Aristote dont ils ont fait un premier enseignant à ce qui se passe aujourd'hui dans la culture critique mondiale.

Ainsi, le soi et sa perte ne sont en fait qu'un prétexte pour investir des valeurs afin de vivre, de se développer et de s'ouvrir aux autres, aux cultures et civilisations différentes. Dans ce texte, Mohamed Dib effectue une pratique symbolique à travers l'imaginaire et reconstruit la réalité et la présente sous forme de schémas linguistiques. Le texte de Simorgh est un mythe oriental qui appelle à lire et à regarder d'autres cultures, et révèle la signification idéologique de son propriétaire.

Mots clés: la critique culturelle, Simurgh, l'ego et l'autre, le schéma implicite.

* Corresponding author, e-mail: bouzidlina97@gmail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2023.

مقدمة:

تطورت الكتابة عند محمد ديب، وتطورت رؤيته لمختلف القضايا الوطنية والإنسانية، فبدأ بتغيير أسلوبه في الكتابة، من الرؤية الواقعية المباشرة إلى رؤية جديدة يتناول فيها مختلف الصراعات الاجتماعية بين الأجيال، موظفا في ذلك الرمز والخيال. وتجلى هذا في روايته Qui se souvient de la mer (Dib 2003, P196) (من يتذكر البحر) التي كانت المنعرج الأساسي في تطور فن الكتابة عند محمد ديب، وبعد أن استقر بفرنسا، أصبح يهتم بالمواضيع الخاصة بالإنسان والذات والبحث في أعماق النفس البشرية، ويهتم أيضا بالمواضيع الإنسانية كالحرية ومحاربة العنصرية، وكل الدوال التي تهتم بإقصاء الإنسان من الوجود فتحولت كتاباته إلى رؤية باطنية عميقة تجاه الإنسان في العالم. هذا ما جعل محمد ديب يبحث عن أدوات فنية جديدة، سنحاول الكشف عنها من خلال دراستنا لنموذج رواية "سيمورغ" لتبيان الخصائص الفنية الجديدة التي استعملها محمد ديب في كتاباته الروائية وعلاقتها بمنظور النقد الثقافي.

وتجسد رواية سيمورغ "Simorgh"(M. Dib 2003) للروائي الجزائري محمد ديب (ولد الروائي الجزائري محمد ديب سنة 1920 في تلمسان بالجزائر، تلقى تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه في تلمسان، ثم تابع دراسته بالمغرب، انشغل بعدة مجالات، التعليم، المحاسبة، الصحافة، حيث عيّن أستاذا بكاليفورنيا بأمريكا والسوريون بفرنسا (باريس). يعتبر محمد ديب الأب الروحي الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية، عرف بثلاثية الشهيرة الدار الكبيرة 1952، الحريق 1954، النسيج 1957، صدر له أكثر من ثلاثين عملا، من روايات قصص قصيرة، قصص للأطفال، أعمال مسرحية، كان محمد ديب أول كاتب مغاربي، تحصل على الجائزة الفرنكفونية من الأكاديمية الفرنسية عام 1994، تنويها بأعماله السردية والشعرية، كما تحصل سنة 1989 على جائزة "مالارمي" عن مجموعته الشعرية "الطفل الجاز".) (يخلف 2011) هذا المنظور الثقافي في القراءة، فهي النص الفسيفساء "Le texte Puzzle" (نعمان 2009، ص155)، ونطق على هذا النوع من الكتابة بالرواية الفسيفسائية، وهي تتكوّن من ثلاثة أجزاء منفتحة على عدة نصوص، وهي نصوص لا ترابط فيها ولا تسلسل ولا سببية في بناء الأحداث أو حتمية سلوك الشخصيات. فكل نص يتمتع باستقلالية كبيرة لو لا الخيوط الباهتة التي تربط فيما بينها أحيانا، مثل: البحث في الذات، الافتراضية، وتسيطر على هذه النّصوص الصور الوصفية وهيمنة السكوت مقابل الحركة، وهذا ما يحدد رؤية النص.

أولا: الخطاب الثقافي في رواية "سيمورغ"/النسق الظاهر والمضمر.

"السيمورغ" هو أحد الطيور الخرافية التي يكثر ذكرها في الأساطير الإيرانية الدينية والتاريخية والشاهنامة، وهذه الأخيرة هي بالفارسية "شاهنامة" وهي كتاب الملوك أو ملحمة الملوك. وهو كتاب ألّفه الفردوسي "أبو القاسم المنصور" في فترة الألف الميلادي، وهو يعدّ الملحمة الوطنية لبلاد فارس، ويشكّل الكاتب ثقلا كبيرا بالنسبة للقوميين الفرس، ومسكن السيمورغ على الشجرة التي تقي كل البذور، وهي في المحيط الواسع على مقربة من شجرة الخلد، تجتمع عليها البذور التي أنتجتها النباتات كلها طول السنة. وإذا طار السيمورغ، نبت ألف عسلوج في هذه الشجرة، وإذا

وقع كسر هذه العساليج ونثر بذورها، وقد اشتهر أمر هذا الطائر على يد الشاعر الفارسي الشهير "فريد الدين العطار" في ملحمته الشعرية (العطار 2002، ص62): "منطق الطير" (معنى منطق الطير في القرآن الكريم: في قوله تعالى: [عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ][النمل: 16] وهذا يخبر نبي الله سليمان الناس بما وهبه الله تعالى إليه ووالده من نعمة وفضل ومعجزات، فقد يسر له الله تعالى الملك التام وكان يحكم الإنس والجن والطير والحيوانات جميعها.)) أحكام شرعية وإسلامية (.s.d التي اقتبس عنوانها من القرآن الكريم، فقد جَعل السيمورغ إلهاً للطيور وتصوّر أن ألوفا مألوفة من الطيور تسعى إليه في رحلة طويلة متعبة محفوفة بالكثير من المخاطر والشهوات، فلا يصل إلى حضرة أعتابه العليا إلا ثلاثون منهم (نعمان 2009، ص51).

يقول بيزي: "اسم هذا الطائر الخرافي هو سينامیرقا في الآفيستا وسي مورغ أو مورو في البهلوية، ولكنّ معناه يدلّ على شيء يختلف تماما عمّا استعمله العطار، وتجدر الإشارة إلى أن العطار دعاه "سي مورغ" ليجانس بينه وبين "سي مورغ" أي ثلاثون طائرا بالفارسية". (بيزي بلا تاريخ)

أما محمد ديب فقد وقع اختياره مع سيمورغ وتجانسه مع العدد اثنا عشر طائرا.

1-النسق الظاهر في رواية سيمورغ:

يسرد الراوي وقائع رحلة عجيبة وصعبة تقدم عليها طيور الأرض جميعا بحثا عن السيمورغ. امتلأت السماء بأسراب الطيور المتنوعة دون حلول فصل تجمع الطيور، فنتج عن ذلك سقوط الليل على النهار بسبب كثافة الطيور التي غطت الشمس وحجبتها عن الأنظار (نعمان 2009، ص42).

يفقد الزمان قيمته عند الراوي، فلا الماضي ولا الحاضر متبانيان (نعمان 2009، ص53)، فالزمن مقرون بكل المخاوف والأحاسيس والمشاعر التي عانتها الطيور والمجهودات التي بذلتها، فالزمن هو الصبر والمستقبل، والرحلة التي باشرتها الطيور، حيّرت الطيور في حدّ ذاتها، وعند وصولها إلى القصر والنظر في المرآة، غابت ذواتها، فحاولت من خلال هذه الرحلة استرجاع ذواتها، فضاعت مرة أخرى، وتوحدت صورة الراوي مع ملك الطيور "السيمورغ"، ليصبح الراوي هو السيمورغ نفسه، وهكذا كانت مصائر ذوات الطيور الأخرى، من حالة الضياع الكامل إلى حالة التواجد المتكامل، تفاني في طائر السيمورغ للراوي ولكافة الطيور الأخرى.

وتجسدت رحلة ديب في ثلاثة أقسام:

الرحلة الأولى: رحلة البحث عن الذات.

الرحلة الثانية: رحلة البحث عن الآخر.

الرحلة الثالثة: رحلة البحث عن الخلود.

وتمثل هذه الأنساق السردية أهم مفاصل الرواية ولها دلالات عميقة. فإذا تعمّقنا في دلالات الرحلات وكذا مجموع الأحداث التي قام بها الراوي الذي كان شاهدا عليها أو راوية لها، فإننا نقترب من عمق الرواية، وهنا نكتشف أن رحلة الراوي لا تبدأ مع

الرحلة الأولى ولكنّها تبدأ من العنوان، فالرحلة الأولى هي رحلة إلى الأمل، بحثا عن فضاء جديد بكل ما فيها من عراقيل وصعوبات قصد الوصول إلى مدينة السيمورغ، إنه اللغز الذي حيّر كل الطيور، إنه غائب بالفعل وموجود بالقوة، حيث يتداخل الأسطوري مع الخيالي ويعانق فضاء الرواية فضاءات وحكايات ألف ليلة وليلة.

فالحلم الصوفي الذي سعت من أجله كل الطيور يتعلق بمبايعة ملك الملوك السيمورغ واعتقاد الرفاق الاثنا عشر أنهم سينالون إعجابه، وفي هذا رؤيا وتنبؤ بمستقبل أفضل. والجانب التغريبي الآخر والذي يقرّب النص الروائي من الأسطورة هو مدينة السيمورغ، وهذا ما أكسبه طابعا رمزيا (نعمان 2009، ص42).

والحدّ الثاني للمسار السردي هو نهاية الأحداث التي جاءت في آخر النص الروائي لتؤكّد انتهاء النص وهي استعارة ومجاز فيقول عن الإنسان: **«... كي يجعل من نفسه إنسانا، فإن الإنسان بالتأكيد مريض من تلقاء نفسه»** (ديب 2009، ص37). ثم سخر منه فقال: «**هو المخدوع السعيد داخل هذه اللعبة**» (ديب 2009، ص37).

ويعتبر الراوي أحد العناصر المولّدة لفعل القصّ، لأنه راوية للأحداث التي وقعت في مدينة السيمورغ، وعن طريق هذا الاستبيان الذاتي يكشف الراوي عن حقيقته، وهكذا فإنه يتحول على المستوى الاستعاري الرمزي، وقد أفصح هو ذاته عن ذلك من خلال المقطع التالي: «... **هل تعلم بأن ذلك المجهول الذي يعبر أحلامك كي يصل إليك أنت الذي تفتح فجأة عينيك واسعتين ولا تستطيع التفكير سوى فيه وهو قادم نحوك بابتسامته كان هو؟ "أنا" هو أنا السيمورغ**» (ديب 2009، ص30).

2-النسق المضمر في رواية سيمورغ:

إن العالم اليوم ومنذ أكثر من عهد ما زال يشهد حالة من التحوّل الضخم، وهو تحوّل نوعي في رؤية الإنسان لنفسه وللآخر، وللكون من حوله، وهذا يشمل قراءة الإنسان للتاريخ والثقافة، بما أن الاثنين شاهدان لغويان على الأذهان المنتجة لهما، مثلما أنهما علامتان على الأنساق المكونة للذهن البشري، والمصنعة لذوق الناس، ولتصوراتهم وأحكامهم (الغدامي 2004).

إنّ منظومة الأنساق الثقافية المكوّنة لذهنية آية أمة من الأمم تظل كامنة في نصوصها الأدبية الرسمية والشعبية، وهذه تتكامل مع التاريخ بوصفه نصّا كبيرا وممتدًا، فيجتمع التاريخ من جهة والنسق الثقافي من جهة ثانية، يجتمعان في تكوين ذات وطنية وحداثية وعقلانية، وحينما نتكلم عن مرحلة النقد الثقافي، فإنّ المقصود هو التنبه إلى هذا الملمح الجديد في تطور الفكر البشري.

أمّا في الثقافة والنقد الثقافي فإنّنا نقرأ النسق ونكشف عن تكوينات الخطاب بوصفه صناعة للأنساق وليس إنشاء لنصوص (الغدامي 2004، ص152-153).

فرواية "سيمورغ" خطاب يهدف من خلاله الكاتب إلى البحث عن الذات، هاته الذات الضائعة وشديدة التغير، هاته الذات المضطربة، ومن خلال هذا التشتت الذي عرفناه في الرواية، يريد محمد ديب أن يصل بالذات إلى أعتم نقطة فيها ليسمو بها إلى أعلى مراتب الإنسانية، وليقول لنا: هذه هي الذات الإنسانية الحقيقية القائمة على الفضيلة، ومن خلال هذه الذات الإنسانية العامة تعبير عن ذاته الخاصة، وهو في

رحلته مع هاته المجموعة من الطيور، جرّد نفسه من اسمه أولا، ولم يعرف حتى نفسه في المرآة، فغابت ذاته أمام المرآة، وهذه الأنا الغائبة تمثل "السيمورغ" نفسه، الأنا هي السيمورغ، والسيمورغ هو المتمثل في شخصية الراوي، والراوي هو صورة الكاتب محمد ديب.

ومحمد ديب في هذه الرواية يمارس (خمري 2002، ص191) ممارسة رمزية، أي أنه عن طريق المتخيل يحاول أن يعيد بناء الواقع وتقديمه في شكل أنساق لغوية، وهي تحاول في بعض الأحيان أن تقترب في بنيتها من بناء الواقع، أي تحاكيه، وبهذا تصير الرواية رمزا أو مجموعة من الرموز التي تحيل إلى واقع محدد. ولا يخلو نص محمد ديب من الأساطير التي شكّلت أحداث روايته، ذلك لأن الأسطورة هي بالأساس (خمري 2002، ص191) نسق رمزي ونسق لغوي تتحكم فيه قواعد شكلية تحدّده وتنظمه، إنّ النّسق الأسطوري يتميّز بعالميته لأنّه يمثل ذلك المخزون البدائي العميق بتجارب الإنسان ومخاوفه ومشاعره أمام الظواهر الطبيعية والاجتماعية التي كان يواجهها.

والنسق الأسطوري نسق من أنساق التواصل، رسالة لا تتحدد عبر موضوع رسالتها، وإنما عبر الطريقة التي تنطقه بها، ثمة حدود شكلية للأسطورة، إنّ التاريخ البشري هو الذي ينقل الواقعي إلى حالة المحكي بالكلام، وهو الذي ينظم وحده حياة اللغة الأسطورية وموتها. وتوظف كلمة "الأسطورة" في الاستعمال اليومي في مواضيع شتى ومستويات لغوية مختلفة، وبقيم وتضمنيات متغيّرة بتغير السياق السوسيوثقافي، والأسطورة قصة خرافية تجسد فيها كائنات على درجات متنوعة لبعض تراكيب المخيلة الشعبية.

وانبثقت العناية بالأنساق البنائية للأحداث في النصوص السردية مع الجهود التي قام بها الشكلنيون الروس في تمييزهم بين المتن الحكائي والمبنى الحكائي، إذ قاموا بدراسة ما أسموه بالإجراءات المختلفة المستعملة في تركيب الموضوعات في الأعمال الأدبية القصصية. إن السرد يمنح للنص الأسطوري دلالات متعددة بتغيرات فنية وبأساليب مختلفة)زقادة (.s.d.

وللنسق المضمر شروط حددها عبد الله الغدامي فيمايلي (الغدامي 2004، ص30):

-نسقان يحدثان معا في آن واحد في نصّ واحد، أو في ما هو بحكم النّص الواحد.

-يكون المضمر منها نقيض ومضاء للعلني، فإنّ لم يكن هناك نسق مضمر من تحت العلني فيضمنه، لا يدخل النص في مجال النقد الثقافي.

-لا بدّ أن يكون النّص جميلا، ويستهلك بوصفه جميلا، بوصف الجمالية وهي أخطر الثقافة لتمديد أنساقها وإدامتها.

-لا بد أن تقوى النّص جماهيريا ويحظى بمقروئية عريضة.

ويذهب "رولان بارت" إلى أبعد من ذلك حينما كان يعتبر كل كتابة أسطورة، لأنها تعبّر عن تجربة إنسانية قد تلتقي بتجارب أخرى مماثلة تبتعد عنها في الزمان

والمكان، لأنها لا تعبّر عن المخاوف فحسب ولكن عن مشاعر الفرح والبهجة أيضا، فقد استطاع محمد ديب أن يستعمل البناء الأسطوري الذي يعكس البناء البشري ويحاول أن يعبّر عما بداخله من ألم وحنين ويحاول أن يبني فضاءه الخاص ويشكل أحداثه بطريقة مختلفة.

فرواية "سيمورغ" لا تظهر في شكل نص متسلسل للفقرات والنصوص التي تتعاقب خلال قراءة طويلة، تبدأ من أول الرواية وتنتهي بنهايتها، ولكنها جاءت في شكل نصوص متنوعة ومتفرقة فتخلّلتها نصوص طويلة تتضمن أفكارا مختلفة وآراء متنوعة، حيث بدأت الرواية بنص "سيمورغ" وهو أسطورة شرقية ثم انتهت بنص Papa diamantis ((1851-1911): أديب إغريقي، وشاعر يوناني) (ديب 2009، ص303). وهو أسطورة شرقية أيضا، وهذه النهاية الأخلاقية التي تدعو إلى القراءة والتطلع على ثقافات الآخر تكشف المعنى الإيديولوجي لصاحبها.

ثانيا: خطاب الأنا والآخر في رواية سيمورغ

إنّ الأنا والآخر من أهم القضايا والمسائل التي تجسدت بشكل جدي وظاهر في الروايات العربية الحديثة بصفة عامة، والرواية الجزائرية على وجه الخصوص. لأنّ الأنا العربية لم تلتحق بعد بالركب الحضاري الذي وصل إليه الآخر العربي من رقي وازدهار وتفوق، وتطوّر وتقدم، الأمر الذي جعل الإنسان العربي أو المسلم ينصهر ويذوب في ثقافة وحضارة الآخر، وينسلخ عن هويته وحضارته الإسلامية، فكل الروايات تسعى إلى اتباع الآخر (الغربي)، والسبب يعود إلى الأنا/ الذات تنظر إلى نفسها بنظرة تدني واستهزاء، ضعف، قهر، وانحطاط إلى الآخر، بنظرة تفوّق ورقي وازدهار (عبيد 2012، ص72).

حاولت الرواية تجسيد الحوار الحضاري تارة، والصراع والصدام تارة أخرى بين الأنا والآخر، فالرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية تجسّد وتصوّر لنا معاناة"الأنا الجزائرية" إبان الاستعمار الفرنسي الآخر، والصراع القائم بينهما، وهذا الصراع يتجلى لنا عندما تحسّ أو تشعر الآنا بالإقصاء والتهميش، لتحوّل من صراع ثقافي حضاري ديني فكري إلى صراع دموي يهدف إلى محور الآخر من الوجود الإنساني.

فالآنا والآخر مسألة أو إشكالية سردية، تختلف باختلاف وجهة نظر الروائي، قد يبرزها بصورة معقدة وشائكة، وقد يظهرها بصورة واضحة، خاصة إذا اقترنت بالآخر، لتصبح الآنا في موقع صدامي وصراعي على الدوام معه (عبيد 2012، ص17).

فالآنا تبرز من الوهلة الأولى من ثقافتها وحضارتها ولغتها، وإيديولوجيتها وديانتها وبكل ما يحيط بها في الوسط الذي تعيش فيه، فالأنا حين تدرك وتعي نفسها ومقوماتها تدرك وتعي الآخر مباشرة، وهو الذي يختلف عنها ولهذا لا يمكن لأي كان أن يصل إلى حدود الذات، أو الأنا ما لم يصل معها وفي اللحظة نفسها إلى حدود الآخر المختلف والمتباين عنها.

إذن، فالأنا يقابلها الآخر، فهما وجهين لعملة واحدة لا يمكن الفصل بينهما، فهما متلازمتان، فالذات تحقق وتثبت وجودها من خلال تداخلها وتواصلها وتشابكها مع

الآخر (عبيد 2012، ص27).

1-خطاب الآنا/تشظي الذات

ورد ملفوظ التشظي بمعنى تهشّم أي مادة إلى قطع صغيرة (ورد ملفوظ التشظي في معجم المعاني الجامع عربي بمعنى تشقق، تطاير وتفرق) (تشظي بلا تاريخ). والتشظي في الرواية من ملامح الكتابة العالمية الجديدة عموما في تجلّيها ما بعد الحداثي وميلها المستمر إلى أن تخرج من التصنيف التقليدي إلى التصنيف الجديد. وكتابات محمد ديب تعدّ تجسيدا حيّا لهذا الاتجاه، فرواية "سيمورغ" نص يشتغل في هذا الأفق الجديد مبرزا مؤهّلاته، فهذا الانفكاك التصنيفي نفسه هو الذي أتاح للنص أن يؤسّس قوامه كلّه على أرضية من التشظي المستمر، ففي النص غابات المعنى 1 و2 نلاحظ عليها هذه الارتباكات والاهتزازات والتناصات والضلالات، تسعى جاهدة إلى تأسيس نظام إدراكي جديد مختلف عن غيره.

إنّ نص "سيمورغ" يمثّل عالم محمد ديب الخاص الذي يشكّل إطاره النصي التحرري للذات المبدعة في سعيها الثوري المتدفق، وهو الذي يصنع عالمه و يدير معناه و يؤسس شفراته ونظام علامته البديل.

فسيمورغ نص لا تصنيف له في أي له إطار أجناسي أدبي معروف هو نص يؤسس هويته وشخصيته الفنية والمعرفية على تفكيك النظام: نظام الوعي الجاهز الرتيب.

لقد اكتسب التشظي عند محمد ديب مفهوما أكثر اتساعا وعمقا في أدبه إذ ارتبط بحياته الواقعية منذ الطفولة حتى الممات، وقد عبّر عن دلالات التشظي في نصه "سيمورغ" في أشكال تعبيرية متعددة.

ويشكّل التشظي الغربة والضياع والغياب مكوّنا أساسيا وبعدا محوريا من نسيج العالم الحديث أو المعاصر (يعقوب 2013، ص502). إن عنوان النّص ضباب على المرآة، يعطي مؤشرا دلاليا على غباش الرؤية وعدم وضوحها، وهذه الرؤية الشعرية للذات عبر المرئات تتبع من وجود الآخرين ودورانهم في حركة الموت والغياب والتشظي، فهو يزيح الأزمنة عبر المرآة، ويرى غيابه في حركة دوران الأزمنة عبر المرآة، وبذلك تتجلى كينونته عبر مرآته متناثرة الشظايا (يعقوب 2013، ص502).

إن قضية تداخل الأجناس الأدبية لم تصبح مجرد واقع، بل تجاوزت ذلك لتصبح عند بعض النقاد والأدباء فعلا قصديا وعملا منتظما، واتجاها نفسيا لا خلاف بين النقاد في تحققه، وانطلاقا من نصّ سيمورغ لمحمد ديب، وفي مرحلة جديدة من إبداعه الروائي، تميّزت بالتحديد، فكيف يمكن تصنيف هذا العمل ضمن نظرية الأنواع وقضية التداخل، وما مدى تجلّي وحضور مقولة الحوارية والصيغ الأجناسية، اعتبارا على أنّه نصّ روائي حداثي، ونقصد بالحداثي هنا النمط الجديد للكتابة الذي انتهجه محمد ديب في أعماله الأخيرة، ويقول تودوروف: «أمّا عدم خضوع كاتب ما للتمييز بين الأجناس فيتشكل ذلك حداثة أصيلة لديه»، ومعلوم أن الرواية هي إحدى الأجناس الأكثر تحررا، لأنّها جنس غير مكتمل لا حدود له ولا ضفاف، وهذا ما تجلّى في نص

سيمورغ وبقوة في كتابات محمد ديب. فسؤال الذات والهوية لا يفارقه، وألم الاغتراب والحنين للوطن والطفولة تتجسد في بنيته السردية، فالجزائر البلد الأم، رغم اختياره المنفى، لكن حضورها وحبها يسكن إحساسه العميق، فهو دائم البحث عن الذات داخل الهوية المتمزقة التي عاشها، وكل ذلك ترجمه في أعماله، فقد طرح قضية اللغة كمسألة وجودية وجديدة، وتحدث عن الاغتراب وهو يعي جدا بؤسه، يقترن العنوان الذي اختاره محمد ديب لعمله، باسم فارسي، يدل عليه اسم الإله السيمورغ ملك الطيور ومنجدهم (دحمان 2021، ص3717)، ومهما كانت رحلة البحث التي أرادها ديب صوفية أو فلسفية، فإنّه يرمز عنه إلى إله يصب فيه ذاته وزهده الإبداعي في رحلة طويلة أثقلت كاهله وأرهقت وجدانه وفكره (دحمان 2021).

فتداخل الأجناس في نص "سيمورغ" هو ما يفتح المجال واسعا للتساؤل عن هذا الخطاب المتشظي دائم التفكك والتحول وإزالة الحدود الفاصلة بين الواقع والمتخيل، وهكذا جاء خطابه مبنيّا على البعثرة وعدم الانتظام والفوضى المستمرة والحلم والهلوسة (نعمان 2009، ص158).

فقد تستطيع الذات والآنا الغائبة المتشظية أن تعثر على حضورها الأسطوري أو الميتافيزيقي عبر اللّغة أو الكتابة (نعمان 2009، ص167).

2-خطاب الآخر/ سؤال الهوية:

بعد تتبعنا لدلالات النّص، تبيّن لنا أنّ رحلة البحث عن الذات التي أرادها محمد ديب، ما هي في الحقيقة إلا رحلة البحث نفسه، وعن كل ما يدور حوله من صراعات ومتناقضات وتحديات مستعينا بنصوص أخرى، معبّرا فيها عن اهتماماته وقلّقه الشديد عن مصير هذه الذات في ضوء الهيمنة والسلطة، وذلك من خلال مناقشته للعديد من المسائل العالقة، وخاصة في نص غابات المعنى أو سياجات المعنى (1) و(2)، كالعولمة، الهوية، الافتراضية، الاستنساخ، العنصرية، الإرهاب، فاللجوء إلى التناص مع النصوص الصوفية غايته توليد الشعرية في المتن الروائي وتعميق الرؤيا الفلسفية لطرح قضايا الواقع المتشابك عبر استراتيجية المخيال لإعادة التعبير للوجدان والعواطف والعلاقات الإنسانية النبيلة (دحمان 2021، ص3717).

إنّ هويات الأفراد ترتبط ارتباطا وثيقا بما يفعلونه في حياتهم اليومية، وهذا لا يعني أنّ الناس يشعرون بالسعادة من مكانتهم في الحياة بل يستمدونها من ثبات هويتهم واستقرارها (أبو زيد 2003، ص149).

«أجل، إنّنا في كل ما نفعل، وكل ما نقول، وكل ما نكتب، إنما نفتش عن أنفسنا، فإنّ فتشنا عن الله، فلنجد في أنفسنا الله، وإن سعينا وراء الجمال، فإننّا نسعى وراء أنفسنا في الجمال، وإن طلبنا الفضيلة، فلا نطلب إلاّ أنفسنا في الفضيلة، وإن بحثنا عن مكروب فلا نبحث إلا عن أنفسنا في المكروب، وإن اكتشفنا سرّا من أسرار الطبيعة، فما نحن إلاّ مكتشفون سرا من أسرارنا، فكل ما يأتيه الإنسان إنما يدور حول محور واحد هو الإنسان، وحول هذا المحور تدور علومه وفلسفته، وصناعته وفنونه، وحول هذا المحور تدور آدابه» (نعيمة 1978، ص25).

فمن بين القضايا التي تؤدي إلى إقصاء الإنسان الأنانية، أهي أنانية الأفراد أم الدولة، وأيهما أكثر شراسة وأكثر تسلّط يقول محمد ديب: **«مثلما هناك أنانية لدى**

الأفراد، هناك أنانية لدى الدول، لكن أيهما أكثر شراسة؟» (ديب 2009، ص121).

فارتكاب الجرائم والعنف، عنوان لإلغاء الذات: «**فقبوله الفكرة التي ترى بأنّ الدولة هيكل من دون ضمير؛ أي ذلك الوحش البادر، فإظهار الأخلاق إنما هو موقف خيار وهو موقف مناف للطبيعة**» (ديب 2009، ص121).

تتحدّد العولمة في مفهومها الذات على التسلط والهيمنة من طرف الدول المتقدمة على الشعوب الضعيفة يقول محمد ديب: «**يستعمل هذا الشخص العادي البرجوازي الغربي كلمة الإنسان كي يصف نفسه، أمّا إذا نظرنا إلى الواقع، فإنّ هذا الإنسان لم ينتج في الحين ذاته، لصالحه وحزمه لنفسه سوى الاتحاد الصغير الذي أطلق عليه بأبهة الأوروبي، والذي في حقيقته لا يمثل كل القارة الأوروبية، ولا فكرة الاتحاد، بل يبدو على الشكل الذي هو عليه، حيث يتمرس هذا الإنسان ويطلق القنابل الحمراء على بقية بشر العالم، الذين يحاولون الاقتراب من طاولته والأكل من خبزه...، هذا لا يمنعه من منح نفسه هو الإنسان حق القيام بغارات وهجمات للنهب في أبعد نقطة ضائعة على هذه الأرض**» (ديب 2009، ص160).

فالعولمة في نظر محمد ديب هي زمن الاسترقاق والاستغلال مع وجود خطر الاصطدام بالعملاق الأمريكي، أينما ذهب وخطر تدمير الذات (ديب 2009، ص161).

ومن بين أشكال التطرف التي عالجها محمد ديب إلى جانب العولمة والافتراضية والاستنساخ، الإرهاب، والعنصرية، فإبحار الإنسان معظم الوقت عبر الانترنيت وفي كوكب افتراضي يفقد الإنسانية إنسانيته، فالخروج عن الكلام يستلزم الخروج عن الذات وعن الآخر، وإحداث قطيعة إنسانية، ويقول محمد ديب في هذا الصدد: «**وغدت العلاقات البشرية افتراضية أكثر فأكثر... في كلمة واحدة كل شيء غدا افتراضيا، الشيء الوحيد الذي لم يعرف الافتراضية هو موتنا**» (ديب 2009، ص169).

يأتي الاستنساخ في أبشع صورة قدمها محمد ديب لإقصاء الذات، فكأن الإنسان لم يحتمل فكرة بقائه إنسان وكفى، فراح يبغي لنفسه أكثر، إذا لم يكن هذا أقل، قال جون روستان: «**لا تعرف النملة بأنها ليست سوى النملة، لكن الإنسان يعرف أنه الإنسان**» (ديب 2009، ص219)، يبدو قلق محمد ديب جليا عن مصير الإنسانية عندما حلت الرذيلة مكان الفضيلة، فصارت الآلة الطاغية تطمع في أخذ عرش الله، بقول محمد ديب: «**وأصبحوا يطمعون في أخذ عرش الله الذي بدا لهم فارغا**» (ديب 2009، ص218).

تتحدد العنصرية باعتبارها شكلا من أشكال العنف والعيب المشين والتعالي والتطرف والإطاحة بالذات الإنسانية وبهويتها، فما يكشفه كل فرد في الآخرين هو جملة الأسباب المؤدية للعداوة والفتن، يقول محمد ديب: «**فالعنصرية واحدة من بين أشياء أخرى تتخفى تحت أسمال فظة لفلسفة الصدفة، التي لا يمكن أن تستغفل أحدا، وتقدم نفسها ممثلة لأخلاق السمو والتعالي، ولكنها لا تمثل سوى أداة حرب تضاف إلى الأرمادة الهجومية لمحاربة أناس وشعوب أخرى**» (ديب 2009، ص55).

يرفض محمد ديب هذه الصورة المتشظية للهوية التي أفرزتها مختلف التيارات

الفكرية المعاصرة، والمتصارعة فيما بينها، والتي تسعى عبر أداة العلم إلى تحطيم احترام الإنسان القديم لذاته على حد تعبير نيتشه، الذي يوهم بأحقية الاكتشاف الجديد للذات تحت شعارات العرقية والأصولية والإقليمية والقبلية التي تغذيها حرية لا حدود لها (نعمان 2009، ص74).

خاتمة:

أكد محمد ديب من خلال نص سيمورغ هذا الطموح في الكائن البشري، هو ما يدفعه إلى التطلع إلى آفاق أخرى، يسمو فيها فوق عنصرين من عناصر المجتمع، هما الكاتب والقارئ، الذين يجمع بينهما الأدب، إلى المجتمع بأسره والحياة بشمولها، وهذا بتأكيد القيم السامية في أي عمل إنساني، والإلحاح على هامش الأفضل في الحياة الإنسانية، والتذكير له باستمرار، والحفز على بلوغه والسعي نحوه بشتى السبل، إن الحس النقدي الذي يميز دائما بين الجيد والأجود من غيره، والأجود إطلاقا مرحلة ثانية، وبين الواقع والممكن مرحلة ثالثة، وبين الممكن والفعل والممكن بالقوة في الإنسان أو في أي عمل تأتيه يداه مرحلة رابعة، والذي يؤمن إيمانا عميقا بأن الزبد يذهب جفاء، وأن الذي ينفع الناس يمكث في الأرض، والذي يأخذ على عاتقه الإفصاح عن ضمير المجتمع والأمة، والتذكير دائما بما يبقي على هويتها الأصيل من القيم والمثل والمبادئ والمعايير والمقاييس والأعراف، ينبغي أن يشمل كل جوانب الحياة الإنسانية.

كما نلاحظ أن محمد ديب استغل عدة رموز عبّر بها عن تمسّك الإنسان بأصالته وهويته، لأن الحضارة الغربية تعصف بكل ما يسمى بإنسانية الإنسان، كما نقرأ في النص قيمة الإنسان التي تدلّ على قيم حضارية راقية مهما كان انتماؤه العرقي أو الديني، والمحافظة على هذه القيمة من كلّ تحطيم وتدمير، كما استوحى من أسطورة الطيور الفارسية للتعبير بسخرية وعبث عن بشاعة المجتمع الذي تطغى فيه التكنولوجيا الحديثة المدمّرة للرّوح الإنسانية.

قائمة المراجع:

1. Dib, Mohamed. Qui se souvient de la mer Seuil. Paris: Seuil, 2003.
2. Dib, Mohammed. Simorgh. Paris: Albin michel, 2003.

3.أحكام شرعية وإسلامية. بلا تاريخ. https://www.m52n.com.

4.أحمد أبو زيد. التحليل الثقافي. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2003.

5.أحمد دحمان. "جدلية الجمال الفني والطبيعي وتجليات الجميل في نص سيمورغ لمحمد ديب." Asjp.cerist.dz/down-article//253/8/4/، 2021: مج8، ع4.

6.تشظي. بلا تاريخ. almaany.com/ar/dic/ar-ar/.

7.حسين خمري. فضاء المتخيل. الجزائر: منشورات الاختلاف، ط1، 2002.

8.شوقي زقادة. أنساق الحدث الأسطوري، أساطير بلاد ما بين البحرين أنموذجا، قضايا الأدب، مج5، ع1،. بلا تاريخ. asjp.cérist.dz/en/downarticle.

9.عبد السلام يخلف. السيمورغ. الجزائر: دار النشر: دار سيديا ، 2011.

10.عبد الله عبد الله اصطيف الغدامي. نقد ثقافي أم نقد أدبي؟ دار الفكر، 2004.

11.عزيز نعمان. جدل الحداثة وما بعد الحداثة، في نص سيمورغ لمحمد ديب، مذكرة لنيل شهادة الماجستير. تيزي وزو: جامعة تيزي وزو، 2009.

12.فريد الدين العطار. منطق الطير، دراسة وترجمة: بديع محمد جمعة. بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، 2002.

13.محمد ديب. سيمورغ، ترجمة: عبد السلام يخلف. الجزائر: دحلب، 2009.

14.محمد صابر عبيد. جمالية التشكيل الروائي. الأردن: عالم الكتب الحديث، ط1، 2012.

15. ميخائيل نعيمة. في الغربال الجديد، مقالات ورسائل نقدية. بيروت- لبنان: مؤسسة نوفل، 1978.

16. ناصر حسن يعقوب. "أشكال التعبير في دلالة التشظي والغياب في شعر محمد درويش." مجلة جامعة دمشق، 2013: العدد، 1-2.